عبدالله بن سبأ
بين الواقع والخيال

دراسة تاريخية تحليلية على ضوء

آراء العلماء والباحثين

تأليف
سيد هادي خسروشاهي

www.ketab.ir

خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷ –
عبدالله بن سبأ بین الواقع والخیال دراسة تاریخیة تحلیلیة علی ضوء آراء العلماء والباحثین/ تألیف هادی خسروشاهی. - - تهران: المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة المعاونیة الثقافیة، ۲۰۰۵م. - ۱۴۲۶ق. - ۱۳۸۴ .
۱۴۰ص.
ISBN: 964-7994-91-5: ۸۵۰۰ ریال
عربی.
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
۱. عبدالله بن سبأ. - ۴۰ق. - - نقد و تفسیر. ۲. غلاة شیعه. الف. مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی. ب. عنوان.
۲ع ۵خ /۲۳۱ BP ۲۹۷/۵۳۸
کتابخانه ملی ایران ۸۳ -۳۸۸۸۰ م

المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة

اسم الکتاب:	عبدالله بن سبأ بین الواقع والخیال
المؤلف:	سید هادي خسروشاهي
الناشر:	المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الإسلامیة – المعاونیة الثقافیة
الطبعة:	الاولی – ١٤٢٦ هـ.ق ٢٠٠٥ م
الکمیة:	١٠٠٠ نسخه
السعر:	٨٥٠ تومان
المطبعة:	مبتکران للطبع
ردمك:	٩٦٤ – ٧٩٩٤ – ٩١ – ٥ ISBN: 964 – 7994 – 91 – 5
العنوان:	الجمهوریة الاسلامیة في ایران _ طهران _ ص. ب: ١٥٨٧٥ _ ٦٩٩٥
	تلفکس: ١٤ – ٨٣٢١٤١١ – ٢١ – ٠٠٩٨

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

www.ketab.ir

فهرس الموضوعات

كلمة المركز ٩

مقدّمة المؤلّف ١٥

التقريب والوحدة ١٧

المراد من التقريب بين المذاهب ٢١

الشريعة والدعوة إلى الوحدة ٢٢

الوحدة ضرورة إنسانية ٢٦

هذا الكتاب ٢٩

الفصل الأول: من هو عبدالله بن سبأ وما حقيقته وقصة إسلامه ٣١

حقيقة ابن سبأ وقصة إسلامه ٣٣

من هو عبدالله بن سبأ؟ ٣٤

قصّة إسلامه ٣٥

ما قيل عن معتقدات ابن سبأ ونشاطاته ٣٨

الجذور التاريخية لأُسطورة ابن سبأ ٤٥

وجهات نظر الباحث السيد مرتضى العسكري ٤٥

الطبري وسنده ٤٥

www.ketab.ir

من هو سيف؟ ٤٧

الفصل الثاني: عبدالله بن سبأ في الفكر السنّي ٤٩

رأي الدكتور طه حسين ٥٢

رأي الأستاذ حامد داود الحفني ٥٧

رأي الدكتور عبدالعزيز الهلالي ٦٠

رأي الأستاذ أحمد عباس صالح ٦١

الفصل الثالث: موقف علماء الشيعة من شخصية ابن سبأ ٦٣

١. الأشعري سعد بن عبدالله القمي (٢٩٩، أو ٣٠١هـ) ٦٥

٢. الحسن بن موسى النوبختي (٣١٠هـ) ٦٦

٣. الكشي (٣٦٠هـ) ٦٦

٤. محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه الصدوق (٣٨١هـ) ٦٧

٥. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة (٤٦٠هـ) ٦٨

٦. ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ) ٦٨

٧. الحسن بن علي العلّامة الحلّي (٧٢٦هـ) ٦٩

٨. عناية الله ين علي القهبائي (١٠١٦هـ) ٦٩

٩. محمّد بن علي الأردبيلي (١١٠١هـ) ٦٩

١٠. محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) ٧٠

١١. نعمة الله الجزائري (١١١٢هـ) ٧١

١٢. محمد باقر الخونساري (١٣١٣هـ) ٧١

١٣. ميرزا النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ) ٧١

١٤. المامقاني (١٣٥١هـ) ٧٢

www.ketab.ir

١٥. محمد حسين المظفري (١٣٦٩هـ) ٧٢
١٦. شريف يحيى الأمين ٧٣
١٧. صائب عبدالحميد ٧٤
المنكرون لوجوده ٧٤
١. العلّامة مرتضىٰ العسكري... دراسة تاريخية ٧٤
٢. الدكتور علي الوردي.. دراسة معمّقة ٧٥
هل عمّار بن ياسر هو ابن السوداء؟ ٧٨
٣. الأستاذ عبدالله السبيتي... دراسة تاريخية ٨٢
١. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ ٨٦
٢. آية الله العظمى المحقّق السيد أبوالقاسم الخوئي ﷺ ٨٦
٣. العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ ٨٧
٤. الدكتور كامل مصطفى الشيبي ٨٧

الفصل الرابع: الشيعة والغلاة ٨٩
الغلاة والغلوّ عند الشيعة ٩١
خاتمة ٩٥

ملحقات الكتاب ٩٧
الملحق الأول: السبئية ٩٩
الملحق الثاني: خطوة على الطريق ١٠٩
خطوة على الطريق ١١٩
الملحق الثالث: لا، يا إخواننا في الدين! ١٢١
قضية التقريب ١٢٢

www.ketab.ir

الدعاية للشيعة والثورة الإسلامية ١٢٥
الحرب والجهاد ١٢٧
سؤال بسيط ١٢٩
استنتاج غريب! ١٢٩
عقائد الشيعة ١٣١
التقية والمتعة ١٣٧
نصيحة أخوية ١٣٨
أمّا المقال الثالث ١٣٩

www.ketab.ir

كلمة المركز

لامراء أنّ من أشدّ أنواع المعاناة التي تتعرّض لها الشعوب والأُمم في الفترات العصيبة والشاقّة من حياتها، هو ذاك التنافر الشديد في الرؤىٰ الفكرية والعقائدية الذي يبلغ حدّاً يعطّل فيه توازن المجتمع، وتشلّ حركته، لما يسيطر فيه من حدّة وتعصّب يصلان في أحايين كثيرة إلى مستوىٰ التكفير والتجريم الذي يمارسه كلّ طرف علىٰ غيره، ويضحىٰ «العنف» وسيلة الإقناع الوحيدة للآخرين!

ويمكن تصوّر كم ستكون الكارثة مروّعة حينذاك!!

فالمغلوبون سيفضّلون الانسحاب إلى الوراء، فيدخلون عالماً أقلّ ما يوصف بالإحباط واللامبالاة القاتلين، وأمّا المنتصرون فسيضحون أسيري قوّتهم التي تقودهم إلى عالمٍ من الزهو والملل، وعندئذٍ ستخلو المواقع من الرجال، ويصبح المجتمع بلاحول ولاقوة تحميه أو تقوده إلى برّ الأمان!

وضمن هذا السياق تدخل مسألة «البحث» و«النظر» في حوادث ومفردات تاريخنا الاسلامي الطويل، إذ أنّ البحث والتقصّي في قضايا وقعت في الماضي، وإعلان النتائج دون تمحيص أو إدراك لما يترتّب عليه من أُمور، قد يسبّب إثارة حفيظة «الآخرين» وغضبهم، فيستدعي ذلك إلى نشوء التوتّر، فالتنافر، ومن بعد سيصاب المجتمع كلّه بالعطب والعطل.

لكن هل هذا يعني مصادرة الأقلام، والامتناع عن تعاطي هكذا بحوث؟

www.ketab.ir

يبدو أنّه لم يبرز مصلح أو مفكّر يدّعي هذا الرأي، فالجميع متّفقون على تعاطي التاريخ وحوادثه ومفرداته، لكنّهم اختلفوا في زاوية النظر.

فمن نظرة قدسية لاتقبل تناول حوادث التاريخ إلّا بالتقريظ، إلى أُخرىٰ لاترىٰ ضرورةً من تناولها في هذه المرحلة بالذات لئلّا نثبّط عزائم المصلحين ومن يرون مبدأ التقريب، وهناك النظرة اللامبالية؛ لما يعود من أثر سيّئ على مسيرة الأُمة، فهي لاترىٰ في هذه المسائل إلّا مجموعة مليئة بالأخطاء ينبغي تصحيحها، إذ أثرها وهي خامدة أكثر سلباً فيما لو أُثيرت عنها الغبار.

وهناك أيضاً النظرة التفاؤلية التي تتّخذ الموضوعية وسيلةً لحلّ هذا التنافر والاختلاف، والسعي إلى تقريب «القلوب» قبل «الأفكار»، انطلاقاً من مبدأ «احترام الغير»، ومحاولة ردّ دعواه بالدليل إن وجد، وإلّا فلا طائل ممّا يراد منه.

ذلك أنّه لايخلو شعب أو أُمة تمتلك تاريخاً ليس فيه أخطاء! فيتوهّم من يظنّ أنّ تفوّق الشعوب وتقدّم الأُمم إنّما جاء من ماضيها المقدس الخالي من الأخطاء والمآسي، أو جاء علىٰ طبقٍ من ذهب، من دون عناءٍ ومشقّةٍ، أو تحرّجٍ من تناول تاريخها بالنقد والمناقشة.

فإنّ ماضي الأُمم الغربية كان مليئاً بالأخطاء والتنافر اللذين أثمرا مآسٍ لعدّة قرون تلت، ووصلت إلى حدٍّ مقرف ومخجل في أحيان كثيرة، لكثرة مامورست فيه من جرائم وجنايات، زُهقت أرواح كثيرة، وعُطِّلت عقول جبّارة بعنف وخشونة.

ولا نظنّ أنّ سيرة محاكم التفتيش الاوربية المرعبة، وما اقترفته من جنايات مثيرة للقرف تخفىٰ على أحد. وكيف كانت تجمع الناس على شكل طوابير وأرتال، ثم تصفّ في ساحات الاعدام، ثم يتمّ تصفيتهم بدم بارد، ليس لشيء إلّا بسبب رفضهم تحويل أراضيهم إلى مراعٍ كي تجد مصانع الغزل والنسيج حاجتها من الصوف!!

كما وأنّ قصة «غاليلو» وكروية الأرض معلومة لدى لجميع، لاحاجة إلى ذكرها أو التعليق عليها.

www.ketab.ir

فرغم هذه الأهوال التي تكاد لاتصدّق، لم تستسلم هذه الشعوب لما قدّر لها، وظلّت تقاوم بشموخ إلى أن استطاعت أن تخرج من هذه الأهوال بسلام، وتقبض على زمام الأُمور، تديرها عقول مدبّرة ومُصلحة، بعيدة عن روح الانتقام والتعصّب، أو توزيع التُهم بالمجّان، وبدلاً عن ذلك راحت تدرس جميع الآراء، وتحلّل كل القضايا بروح علمية وموضوعية محضة، ثم تستخلص منها الدروس والعبر، وتقدّمها للأجيال المتلاحقة التي استوعبت الدروس بدقّة، وتعمل وفق ما تمليه عليها المصلحة، فامتدّ نفوذها في كل أقطار الدنيا الوسيعة.

لقد أدركت هذه الشعوب أنّ ماضي أيّ مجتمع هو كحاضره، وليد بيئة اجتماعية معقّدة، وفي ظلّ ظروف سياسية واقتصادية متقلّبة، يستحيل معها أن لاتكون ثمّة أخطاء هنا وهناك، وانحرافات في هذا الجانب أو ذاك. لكن هذا لايعني وجوب إثارتها بشكل سلبي بحيث يعود ضررها على الناس جميعاً أو الدين نفسه، وهو ماترفضه مصلحة الاسلام العليا.

وأمّا الذين يرون عكس ذلك فهم واهمون حقّاً !

صحيح أنّه ليس من العدل ترك من يحاول أن يجرّ مركبة الاسلام بعيداً عن ساحل الأمان والسلام، وصحيح أيضاً أنّه ليس من المصلحة التجرّي والقفز على الموائد للقبض على أولئك الشرذمة من «المتفقّهين» الجّهال، وإلحاق الضرر بهم باشعال النار فيهم وبالمركبة معاً مثلاً!!

فالمصلح الغيور، والداعية المتديّن، وإلى أيّ مذهبٍ ينتمي، ينبغي عليه أن يتذكّر شيئين من قبل أن يخوض غمار عمله:

الأول: أنّ لكل مذهب أو طائفة تاريخاً حيوياً يضرب جذوره في الأعماق، إلى درجة نعتقد معها أنّه يصعب شطبه. يودّ كلٌّ منهم أن يلاقي احترام الغير له، وألّا يستمرّ «الآخرون» في المساهمة في الإنقاص من مكانته، وقدسية انجازاته، بالانسياق وراء الأفكار والادّعاءات التي تحاول أن تجرّده من كلّ ابداعاته الفكرية

والأدبية والإنسانية التي قدّمها في سبيل رفعة هذا الدين وسمّو الأُمة الكبيرة.

الثاني: أنّ ماضينا الإسلامي بكلّ تنوّعاته ـ في النجاحات كما في الإخفاقات ـ هو ملك لكلّ أفراد الأُمة، وليس لأيّ أحدٍ منّا أن يستأثر بالجيد، ويتنصّل من السيّء.

وتأتي هذه الملكية للتاريخ من فكرة أنّه لايستطيع أيّ فرد إثبات أنّ سلسلة أجداده كانوا في اتجاهٍ واحدٍ، ولم يكونوا في اتجاهات متضاربة.

ومن هنا نجد أنّه ليس من مصلحة أيّ فردٍ عاقلٍ أن يتناول تاريخ أيّ فرقةٍ من فرق دينه المشهورة والمعترف بها من زاوية «كيدية» لأنّه يكون حينها كمن يتناول نفسه، ويبصق في وجهه! وطبيعي لايقبل بهذا الفعل سوىٰ المجانين!!

لذا نرىٰ أنّ قراءة الماضي ينبغي بالضرورة أن تتحلّىٰ بالموضوعيةالعلمية المحضة، وتتخلّىٰ عن الاندفاع باتّجاه إثارة حفيظة «الآخرين»، لأنّه السبيل الوحيد الذي يضمن سير العملية التكاملية لأُمتنا المجيدة، ويدفع كلّ الطوائف إلى المشاركة الفعّالة من أجل إعلاء كلمة الإسلام عالياً.

وهذا الكتاب الذي يرقد بين أيدينا، يعدّ من الكتب التي تخطّت الأزمنة بجرأة، ولامست مواضيع حسّاسة بموضوعية جديرة بالتقدير، قدخطّته يراعة الأستاذ والمصلح المعروف سيد هادي خسروشاهي، فتناول فيه بالدراسة والتحليل والمناقشة لمحطّة مهمّة من محطّات تاريخ التشيّع، بمنطق علمي سليم، ولغة سامية تترفّع عن المنهج الضحل، وأُسلوب يتمتّع بالرصانة والموضوعية، يأخذ مبدأ احترام الغير أساساً له.

فهو قد يكون مثيراً لتعاطيه جانبٍ حسّاس طالما أثاره أعداء الدين وأهل البيت عليهم السلام، لكنّه اكتسب إثارة أكبر في أُسلوب دفاعه وردّه بقلم جذّاب يشدّ القلوب قبل العقول، ينبض بالاحترام والحيوية.

والكاتب رغم تركيزه على المحور الأساسي الذي يحمله عنوان الكتاب، وجهده الكبير في إبراز الجذور التاريخية لهذه «الأُسطورة» بصورة مختصرة، لكنّه يتعرّض

www.ketab.ir

إلى جوانب أخرىٰ ترتبط بالمحور الأساسي؛ كالبحث الموجز عن الوحدة والتقريب، ومحاولة التعريف بالخطوة الأُولىٰ على طريق الإخاء والوئام، ثم سلسلة ردوده الموجزة لبعض الشبهات التي أثارتها بعض المجلّات... حيث ضمّها كملاحق للكتاب، قد تجلب المتعة والمنفعة في مواضيعها وطريقة عرضها الرشيق.

فهو بذلك ينقل القارئ من محطة إلى أخرىٰ، تتخلّلها أزمنة متباعدة من الأحداث ما قد يكون جديداً لدىٰ قسمٍ كبيرٍ من القرّاء.

إنّ هذا الأسلوب الرشيق الذي اتّخذه المؤلّف في كتابة بحثه الممتع، وما شحنه بدفء المحبّة للآخرين، إنّما يترجم نظرته التقريبية، ورغبته في التأكيد على ضرورة تعزيز الوشائج بين أوصال هذه الأُمة بجميع فرقائها، خاصة والأُمة تمرّ في مرحلة خطيرة ومثيرة.

وهذا مادعا المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، من خلال مركزه العلمي، إلى تبنّي طبع هذا الكتاب ونشره بحلّة قشيبة تتناسب ومكانته، وجعله في متناول الجميع، سيّما ممّن يرغب في ضخّ الأُمة بالحبّ والألفة، وإرفادها بالقوة المستمدّة من التكاتف والوحدة ورصّ الصفوف أمام أعداء أُمتنا المرحومة.

ولايسعنا في الختام سوىٰ تقديم الشكر والثناء للمؤلّف أدام الله عزّه، والتأكيد علىٰ نقطة مهمّة هنا، وهي أنّه من الأهمية بمكان أن نحافظ علىٰ هدوئنا ونحن نشهد مثل هذا النوع من الادّعاءات من أيّ جهةٍ كانت، ونحاول أن نُعمل عقولنا في تتبّع وتفحّص دقيقين لما يُطرح من تُهم تمسّ كرامة أيّ مذهب إسلامي بارز، وهو يتمتّع باحترام وتقدير باقي المذاهب، ونحاول أيضاً أن نستخلص العبر كما صنعت الأُمم الأخرىٰ التي تجاوزت هذه الحالة بنجاح، وبلغت في التقدّم شوطاً كبيراً، والله هو الموفّق والمعين.

مركز التحقيقات والدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

www.ketab.ir

مقدّمة المؤلّف

شكّلت عقلية الماضي التي تهيمن على تصوّرات بعض المسلمين اليوم أزمةً كبيرةً حالت دون تناولهم مفاهيم الإسلام ودروسه وأصوله وتاريخه تناولاً صحيحاً، ومن جانبٍ آخر شكّلت أيضاً أزمةً في التعامل مع «الآخر» من حيث قبوله والتعايش معه.

وتتجلّى هذه الأزمة اليوم في ذلك الصدام المفتعل بين الشيعة والسنّة على أساس قضايا مزعومة هي من خلق الماضي، لاصلة لها بالحاضر، وعلىٰ رأس هذه القضايا قضية «ابن سبأ» وماتمّ ربطه به من أحداث ومفاهيم ومعتقدات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

ولقد سقط الكثير من الباحثين المعاصرين ممّن سلّموا أنفسهم لعقلية الماضي، ضحية هذه الشخصية المزعومة، وقام ببناء صرح من المفاهيم والمعتقدات على أساس هذه الشخصية لكنّه كان صرحاً من الرمال، لم يصمد طويلاً أمام رياح الواقع.

كانت شخصية «ابن سبأ» من صنع بعض كتب الفرق بعد سنة ٣١٠هـ على ما سيتبيّن للقارئ من خلال هذا الكتاب.

واعتماداً على عقلية الماضي لم يبذل الباحثون القدر الكافي من الجهد العلمي والمنهجي حول هذه الشخصية المزعومة، بل تلقّفوها من الماضي كما لو كانت نصّاً

www.ketab.ir

صريحاً متواتراً، وكان الأجدر بهؤلاء أن يتحلّوا بالموضوعية والعدل الذي هو روح الإسلام وأساسه قبل تبنّيهم هذه الشخصية الخيالية ودفاعهم عنها، ذلك الموقف الذي تسبّب في إثارة الشبهات حول قطاع كبير من المسلمين، والتشكيك في معتقداتهم، ممّا نتج عنه إثارة الفرقة والشقاق بين هذا القطاع ـ المتمثّل في الشيعة ـ وبين قطاعات المسلمين الأخرى.

إنّ الذين يتصدّون أمر الدعوة إلى الإسلام اليوم عليهم أن يدركوا خطورة ما يبثّونه من مفاهيم ومعتقدات ووقائع تتعلّق بأسطورة شخصية «ابن سبأ» وضرورة عدم التقوّل بها دون براهين عقلية ونقلية قاطعة، لأنّ ذلك يعني إعلان الحرب على الشيعة الذين يشكّلون جزءاً لايُستهان به من مجموع المسلمين، في الوقت الذي أعلنت الحرب على الإسلام في كل مكان.

لستُ أدري، أهو الجهل بما تحيط بنا من مخطّطات أعداء الاسلام، أم الغفلة عمّا ينبغي علينا صنعه في ظلّ حاضر يفرض علينا أن نتسلّح بالوعي والوحدة والتكاتف في مواجهة المؤامرات التي تحاصر الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى تفريقهم وإضعافهم.

وإذا كان الذين يفجّرون قضية «ابن سبأ» ما بين الحين والآخر حريصين على الإسلام، فلماذا لم يفجّروا قضايا أخرىٰ من شأنها تزيد من تماسك المسلمين، وتعزّز من شعار الإسلام وسط العالمين، من خلال بثّ الكثير من العقائد والمفاهيم والأحكام التي تشيع المحبّة والأُلفة بين المسلمين، وتقوّي الروابط بين فئات الناس اليوم.

إنّ من دواعي الحبّ والتقوى، أن نقول: إنّه يفترض على الكتّاب والباحثين اليوم التوقّف بعناية عند نشر كلّ ما يتعلّق «ابن سبأ» وأمثالها، وتقصّي الحقائق جيّداً من قبل إشاعتها بين المسلمين.

إنّ الذين يتسلّحون بعقلية الماضي، واكتفوا بمصادره التي كثر الجدل من حولها،

www.ketab.ir

أحرىٰ بهم أن يقفوا أيضاً علىٰ المصادر المعاصرة التي تتعرّض إلى شخصية «ابن سبأ»، مثل كتاب «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين وأمثاله من عمالقة الأدب والفكر العربي الاسلامي.

فمن أجدر من علمائنا ومثقّفينا وكتّابنا في التعاون على رفع التناحر بين المسلمين، وتعزيز وحدتهم وتآلفهم، واحترام رموز فرقهم ومقدّساتهم؟

وممّا يؤسف له حقاً أن يشارك بعض رجال الدين في إشعال نار الفتنة بين المسلمين، بالعمل على إحياء فكرة «السبئية». ثم محاولة ربط التشيّع لآل البيت عليهم السلام بالجذور اليهودية!.[١]

والسؤال هنا: كيف ستكون عليه المعادلة الاسلامية فيما لو كان قوامها التفريق والتناحر والاختلاف؟

ثم كيف الأمر لو استبدل بالتآلف والوحدة والتقريب؟

التقريب والوحدة

إنّ مظاهر الصلاح والفساد التي تلاحظ على الصعيد الاجتماعي، هي حالات متحرّكة ومتغيّرة ذات صلة بإرادة الإنسان، وتخضع عادةً لمتبنّيات وعوامل فكرية أو عقائدية تشكّل مسبّبات وعللاً أساسية، وهي التي انتجت هذه الظاهرة أو تلك، فالنزاع والتخاصم والفرقة أو الوحدة والوئام والتقارب، كلّها تمثّل ظاهرةً تبرز في حياة الأمة هنا وهناك، لتحكي مستوى حيويتها ورساليتها، أو عبثيتها وعشوائيتها، فهي ليست مستثناة في حياة الإنسان، بل هي دون شكّ مرتبطة بسنن الله في

---

١. فقد صدرت عن أحد الدارسين بالأزهر مؤخّراً رسالة (ماجستير) بعنوان (السنّة النبوية في كتابات أعداء الإسلام) وهي دراسة موجّهة نحو الشيعة بالخصوص. كما وصدر أيضاً كتاب آخر تحت عنوان «الجذور اليهودية للشيعة» للدكتور عبدالمنعم البري، أحد المنتسبين للأزهر سابقاً!! وهناك كتب أخرى تنشر بين الحين والآخر في إيجاد الفرقة بين المسلمين: السنّة والشيعة بأسماء مختلفة، والظريف أنّهم يسمّون أنفسهم بالسلفية أو أنصار السنّة المحمدية!!

www.ketab.ir

المجتمع والحياة لكلّ الأمم.

والإسلام يدعو لبناء مجتمع التوحيد والعدل، ونبذ الجهل؛ إيماناً منه بأنّ الجهل ينتج النزاع والخلاف، ويهشّم صرح الوحدة والبناء، وبعكسه، الثقافة والعلم اللذان يريدهما الإسلام، فهما يشكّلان عنصراً هاماً وحيوياً في حياة الأمة ومسيرتها التكاملية، إذ يؤدّيان إلى تنمية المجتمع وتكامله، لذا فقد شخّص الإسلام البنى التحتية من الأفكار التي تنتج لنا مظاهر الوحدة والمحبّة والإخاء، وزوّد المسلم بالوعي والبصيرة، وسلّحه بالنظرة الفاحصة للأمور، ليكون موقفه إزاء التركة الثقافية أو الظواهر السلبية التي خلّفتها ظروف الانحطاط والتخلّف موقفاً مسؤولاً غير منفعل بها، بل يستوعبها لغرض المعالجة بهدي إلهي حقيقي، ووعي رسالي ثاقب.

فإذا كانت الوحدة تعني في منظورها الإسلامي: الإسلام وقوته أو الإسلام وشموليته، والتقريب يعني: خطوة أو مفردة أو مجموعة مفردات إسلامية ذات صيغة عملية تهيّئ لإيجاد الوحدة، فهذا الوعي للوحدة والتقريب بلا إشكال يدفع صاحبه للبحث عن تلك المفردات على أمل أن تحقّق الوحدة في أجوائها السليمة، فيلتقط المحبّ الهادف كلّ مفردة حقيقية ذات مساس بقضية الوحدة كالنحلة حين تمتصّ رحيق الزهور، فيميّزها جلياً لالبس فيه، ليكون واضحاً عنده ما هي المفردة التي تعمّق الخلاف بين المسلمين ليتجنّبها، ثم ما هي الحالة النفسية، سواء كانت ذات منشأ سياسي أو انفعالي، والمنقطعة الصلة بالعقيدة، وتسبّب هدر الطاقات الإسلامية وضياعها.

كما ينبغي أن يدرك صاحب هذا الاتّجاه ويفرّق بين معنى القسوة والغلظة مع الأعداء، ومعنى كونهم أذلّة ورحماء تجاه المسلمين والمؤمنين.

ثم لابدّ من التمييز والتفريق بدقّة بين الأمور التي تصبّ في مصلحة الإسلام والأمة الإسلامية وبين القضايا التي تضرّ بهما.

ولا تقف المسألة إلى هذا الحدّ، وإنّما تستدعي معرفة المعيار الإسلامي الذي

www.ketab.ir

توزن على أساسه المفردات، والعوامل التي ينبغي العمل بموجبها في هذا الحقل أو ذاك، رغبةً في التخلص من الظواهر السلبية. وهذا المعيار يتجسّد بالقاعدة الفكرية للمفاهيم التي يلتقي على ضوئها المسلمون في تصوّراتهم؛ كالتوحيد والنبوة والمعاد، وفروعها؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغيرها من المفردات الأخرى ذات الصلة بهذه المفاهيم.

وانطلاقاً من كلّ ذلك لايمنع أن نرىٰ بعض الاختلافات باعتبارها خصوصيات أفرزها العقل والنظر العلمي، أو قل: موقفاً تترتّب على أساسه فكرة في ظلّ ظروف ومناخات مرّت بها الأمة، ونقبل به على أساس مقولة: إنّ الوحدة المطلقة في حركة العقل لا تتحقّق على مستوى كل التفاصيل في الأفكار والمواقف، لأنّه ما من قاعدة إلّا ولها استثناء، فيفسّر الاختلاف في بعض المجالات العامة كاستثناءٍ مسموح به في إطار الاجتهاد العلمي، فيجعل للمسألة بُعداً تجزيئياً لاحتمية فيه للوحدة خاصةً حينما نواجه الأشياء الصغيرة في حقولها المتعدّدة.

وهذه المسألة تدعونا إلى عدم السماح لتحوّل الجزئي في الاختلاف الفكري إلى حاجزٍ يؤدّي إلى تقطيع أوصال الكلّ وتخريب وحدته، وقد وقع البعض من الناس فريسة هذا التفكير، إذ جعل الفاصل الجزئي الصغير أو الموقف الطارئ الذي يسلكه هذا المذهب أو ذاك، صفةً عقائديةً أساسيةً، لأنّ منظورهم للوحدة هو ذوبان التفاصيل في الكلّ، بل رفض أيّ جزءٍ مختلفٍ فيه عند الآخر حتى لو كان فارغ المعنىٰ والتأثير.

ونهاية الأمر، فقد أفرز لنا هذا التفكير المصحوب بالموقف إزاء الجزئيات إسلاماً متعدّداً وجماعات متفرّقةً، بدل الإسلام الواحد والأمة الواحدة.

والصحيح أنّ القضية في بُعدها الثقافي هي التي تحدّد الموقف العلمي، فثقافة القرآن تدعو للوحدة باعتبارها مبدأً أصيلاً. فقد تناول القرآن صيغاً عملية، واستعرض المفردات المشتركة بين الأديان المختلفة، وجعلها الأساس في تناول

www.ketab.ir

نقاط الاختلاف التي تثير الإحساس والمشاعر سلباً، وتقف حائلاً دون تحقيق الوحدة، من باب خلق الأجواء الودّية، والانفتاح على الرأي الآخر.

لقد تناول المشتركات بين الأديان لتكون عنصراً للتقريب، فركّز على قصص الأنبياء ودعوتهم الكبرى ذات القواسم المشتركة.

ووفق هذا التأسيس، فإنّنا لا نريد أن ندعو الشيعي أو السنّي لأن يذوب كلّ واحدٍ منهما في معتقدات الطرف الآخر، ويتنازل عن كلّ ما يعتقد بصحّته أو ما يميّزه من خصوصيات، فهذا ما لا نريده ولا ندعو إليه، وإنّما هو البحث عن القواعد المشتركة عند الطرفين، والعمل على أساسها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[١].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢].

والمقصود بالحبل ـ على أكثر التفاسير ـ هو الإسلام والإيمان، وقد جسّد الإمام علي عليه السلام هذا المبدأ عملياً حين اختلف مع الغير في مسألة الخلافة، قائلاً:

«لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصةً»[٣].

لقد أبقى الإمام علاقته الودّية مع من اختلف معهم من الصحابة، وانفتح بها على أساس مصلحة الإسلام العليا، ولم يسمح بنشوء جدار عازل بينه وبين الذين اختلف معهم في مفردات الإسلام وتشريعاته ما دام أنّ هناك جامعاً ومشتركاً بينهما يستطيع أن يحفظ بواسطته الإسلام، فالإخلاص للإسلام، وانطلاقه من مبدأ حفظ مصلحة الإسلام العليا، هو السرّ الذي دفع بالإمام نحو هذا الموقف.

كما يكشف عن إخلاص الإمام علي عليه السلام للإسلام موقفه من الخليفة الثاني حين

---

١. النساء: ٥٩.
٢. آل عمران: ١٠٣.
٣. نهج البلاغة: الخطبة (٧٤).

www.ketab.ir

استشاره في أن يذهب مع الجيش إلى بلاد فارس أم لا، فأجابه قائلاً: «**لاتذهب، فأنت رأس الأمر وسنامه**».

فإنّ الإمام علياً عليه السلام لم يفكّر بالخليفة الثاني كفرد عادي، ولم يفكّر بذاته ومكاسبه السياسية، بل انطلق من مصلحة الإسلام.

هذا على صعيد الموقف، أمّا على صعيد الفكرة فلو قال أهل السنّة: إنّ بعضاً من الشيعة قد اعتقد بتحريف القرآن، وجاء من الشيعة واتّهم السنّة بنفس الشيء، فهل يصحّ أن يأتي غيرهم ويقول: إنّ المسلمين لايعتقدون بسلامة وقطعية القرآن الكريم بناءً على اتّهام كلٍّ منهما للآخر بتحريف القرآن الكريم؟

وهذا ما فعلته الموسوعة الإسلامية البريطانية، وبعض المستشرقين أيضاً، حيث وظّفوا هذا الاختلاف لأغراض خبيثة في تشويه الإسلام، والطعن بأُسسه القطعية.

إذن فالمسألة ينبغي أن تناقش على أساس القواسم المشتركة، فائمة الشيعة والسنّة وعلماؤهم لايعتقدون بالتحريف إطلاقاً، ولا عبرة لأقوالٍ شاذّةٍ أطلقها بعض الشيعة وبعض السنّة، وهم شرذمة قليلة لايعتدّ بكلامها، فتكون النتيجة أنّ علماء المدرستين لايعتقدون بالتحريف على الإطلاق.

المراد من التقريب بين المذاهب

إنّنا حينما نتكلّم عن التوحيد بين فرق المسلمين، ننفي أولاً رفع اليد عن نقاط الفرق بين المذاهب، سواء الأساسية منها كما هو الحال في معرفة الإمام ومعرفة شخص الإمام، أو الفرعية منها كما في الخلافات الموجودة على مستوى الفروع الفقهية، كبعض الفوارق التي توجد في الوضوء أو في الصلاة أو في الحج أو غيرها، فحينما نؤكّد ضرورة التوحيد لانقصد بذلك ضرورة رفع هذه الاختلافات عنه، لأنّ ذلك يعني مسخ هوية المذهب.

وننفي ثانياً الامتناع عن البحث عن حقّانية هذا المذهب أو ذاك، وعن صحّة هذا

www.ketab.ir

الرأي أو ذاك من الرأيين المختلفين، في أصول المذهب كالإمامة، أو الفروع ممثّلاً في الصلاة والصوم، بل يجب أن يبقى باب النقاش الحرّ الموضوعي السليم مفتوحاً على مصراعيه، كما هو الحال تماماً في النقاش بين الاتّجاهات المختلفة لدى علماء مختلفين ضمن إطار مذهبٍ واحدٍ، فإنّ طريق النمو العلمي، وطريق اكتشاف الحقيقة: النقاش والبحث في المسائل المختلف فيها، وسدّ هذا الباب يعني سدّ باب الوصول إلى الحقيقة، والمنع عن النمو العلمي، وهذه خطيئة لاتغتفر.

إلى جانب ذلك نرى ضرورة التآزر، والتكاتف والتناصر، والعيش الأخوي، وتراصّ الصفّ، والتراحم والتعاطف، ودفاع بعضهم عن بعض، بين الفرق والفئات المختلفة والمذاهب المتشتّتة، الذين يجمعهم الإيمان بالأُصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. وذلك بوصفهم معتنقين لدينٍ واحدٍ، فهم مشمولون للنصّ المروي عن رسول الله ﷺ:

«المسلمون إخوة، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[1].

ولابدّ أن ندين بدين الله بهذه الوحدة فيما بيننا، سواء اعترف إخواننا الآخرون بذلك أم خالفوا. والذي يدلّنا على وجوب هذا التوحيد أُمور:

الشريعة والدعوة إلى الوحدة

لقد جعلت الشريعة الإسلامية كلّ فرق المسلمين سواءً في الحقوق، فالشيعي يرث السنّي، والسنّي يرث الشيعي، وحقوق الزوج على الزوجة لاتختلف باختلافهما في المذهب أو عدم اختلافهما، ولا يشترط في أصل الزواج اتّفاقهما في المذهب.

وفي القصاص والديات، لافرق بين شيعي وسنّي أو سائر فرق الإسلام، فكلّ المسلمين في جميع هذه الحقوق وما إليها هم من وجهة نظر الفقه الإسلامي

---

١. الوسائل للعلامة الشيخ الحر العاملي ٣١: ١١ من قصاص النفس، ح ١.

www.ketab.ir

المصرّح به من قبل جميع العلماء الأعلام سواء كأسنان المشط، ولئن دلّ هذا علىٰ شيٍ، فإنّما يدلّ على أنّ الشريعة الإسلامية أرادتهم جسماً واحداً وأُمة واحدة، ولم تردهم متفرّقين متشتّتين، يعادي بعضهم بعضاً.

إنّ التصريحات الأكيدة في روايات أهل البيت عليهم السلام تؤكّد على وحدة المسلمين من خلال صلة العشائر والأرحام والخلطاء من الناس، وعيادة مرضاهم، وشهادة جنائزهم، وأداء أماناتهم، وما إلى ذلك من حسن السيرة معهم وإن اختلفوا في المذهب.

فها هو الحديث المروي في (الكافي) للعلّامة الشيخ الكليني بسند صحيح، عن معاوية بن وهب، قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟ قال عليه السلام:

«تنظرون إلى ائمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم»[1].

وأيضاً روي في الكافي بسند صحيح عن زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السلام:

«صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر، فوالله لحدّثني أبي عليه السلام: أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث»[2].

---

١. الكافي ٢: ٦٣٦ من كتاب العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة، ح ٤.

٢. المصدر السابق.

www.ketab.ir

هذا كلّه يعني أنّ ائمتنا عليهم السلام لم يكونوا يقبلون بأيّ تمييز في طريقة التعامل وحسن التصرّف بين أبناء المذاهب المختلفة، ما داموا جميعاً مسلمين.

وممّا يؤيّد ما استنتجناه من بعض الروايات الصحيحة السند الواردة لدى الشيعة عن ائمتهم، الدالّة على أنّ (من صلّى خلف الإخوة السنّة في الصف الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

وقد ورد في رواية أخرى: «**إنّ المصلّي خلفهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله**»[2].

وقد أفتى بوجوب الصلاة خلفهم، وخاصّةً بلحاظ أيام الحج، سماحة السيد الإمام الخميني (رضوان الله عليه).

وعلى جميع المسلمين أن يلحظوا أنّ موقف أعداء الإسلام الشرس تجاه جميع المسلمين واحد، وأنّهم لايفرّقون بين مذهب وآخر.

كما أنّ دعوة الإسلام لاتقتصر على زمان دون زمان، ولا على جيل دون آخر، فهي دعوة عالمية تستقطب إلى نورها البشر جميعاً: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾[3].

ولكنّ الإسلام بعالميته هذه لا يراد له أن ينتشر أُفقياً دون أن يحقّق لهؤلاء الناس في الوقت ذاته ربطاً عميقاً محكماً يشدّ بعضهم إلى بعضٍ برباط الأُمّة الواحدة: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[4].

وتستند عملية الربط هذه إلى أُسس ومنطلقات يتحتّم تركيزها من خلال دافع التكليف الإلهي، والبُعد عن كلّ ما يؤودها ويخلّ بها بوازع من المسؤولية الشرعية.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وسنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مستقرئين تلك الأُسس،

---

١. انظر الوسائل ٨: ٢٩٩ و٣٠٠، ب ٥، صلاة الجماعة، ح ١ و٤.

٢. انظر المصدر السابق: ٣٠١، ح ٧.

٣. سبأ: ٢٨.

٤. الأنبياء: ٩٢.

www.ketab.ir

ومتلمّسين تلك المنطلقات، لوجدنا أنّ الإسلام يعتبر الأُمة المسلمة بمثابة أُسرة واحدة لها قيّم يشرف على شؤونها، ويدبّر أُمورها.

وأمّا ما يشدّ هذه الأُمة بعضها إلى بعض، فهو روح أُخوّةٍ نبيلة، لا يفجّرها فقط العطف والمحبّة والحنان، وإنّما هي أُخوّة مسؤولية تتحمّل أعباءها بوعي وحيوية وعمق، وتؤثّر آثارها الإيجابية على الصعيد العملي والواقع الخارجي:

فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ثم فرّع على ذلك: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. ثم فرّع على ذلك: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّما المؤمنون إخوة بنو أبٍ وأُم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»[3].

فالإسلام يسعى لإيجاد وحدة حقيقية تقوم على أساس الأخوّة المسؤولة الواعية، فإنّنا إذا راجعنا التاريخ الإسلامي سنجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين في المدينة، قد جعل تلك الأخوّة تستند إلى أمرين اثنين هما: الحقّ والمواساة.

فالحقّ هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات، وتبنى عليه المعاملات، وليس المصالح الشخصية، ولا الأهواء، ولا الميول، ولا الانفعالات العاطفية، ولا المصالح القبلية، أو الإقليمية، أو الفئوية، أو غيرها.

وعن طريق الحقّ يحصل التفاهم، ثم الرضىٰ، ثم الثقة المتبادلة، ويكون من ثم هو الفيصل في كلّ مقام تختلف فيه الأهواء والمصالح.

---

١. الحجرات: ١٠.

٢. التوبة: ٧١.

٣. بحار الأنوار للعلّامة محمد باقر المجلسي ٧٤: ٢٦٤.

www.ketab.ir

وإذا توصّل إلى الحقّ بنتيجة الإحساس بالمسؤولية الشرعية والإنسانية، ومن خلال الأخوّة والمحبّة والحنان، فذلك أضمن لبقائه واستمراره، بخلاف ما إذا جاء عن طريق التحدّي والقوة والعصا، فإنّ علينا أن ننتظر غياب الحقّ آنذاك بمجرد غياب تلك العصا وهاتيك القوة.

والمواساة تعني درجة أعلى من العدل، لأنّها تقتضي في أحيان كثيرة البذل والتضحية لصالح الآخرين، والتخلّي عن كثير ما نكتسبه لأنفسنا من خلال العدل الذي يرجع بدوره إلى الحقّ.

وعن طريق المواساة تستطيع الأُمة مواجهة الظروف الطارئة، والتقليل من آثارها السلبية، كذلك مواجهة جميع أشكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها عليها أعداؤها من سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها، بهدف القضاء عليها، أو امتصاص طاقتها الإيمانية.

الوحدة ضرورة إنسانية

فالوحدة إذاً ضرورة إنسانية ومصيرية للأمة، ولكنّها تحتاج إلى كثيرٍ من الوقت والجهد، وكثيرٍ من البحث والتمحيص للحقائق العلمية، ثم إلى تربية نفسية لخلق درجةٍ من الاستعداد والسمّو لتحقيقها.

وريثما يتحقّق ذلك لايمكن للأُمة أن تترك خطر أعدائها يجتاحها، ويلتهم مقدراتها، ويستأصل شأفة الإسلام والمسلمين، بل لابدّ لها من تعامل وحدوي فيما بينها.

وهذا الاتّحاد، أو قل: هذا التعامل الوحدوي، مطلوب إسلامياً، ومحبوب بمختلف أبعاده ودرجاته، وعلى جميع المستويات، ولكنّه ليس هو كلّ المطلوب، وإنّما هو بديل اضطراري مؤقّت لابدّ من القبول والرضا به بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية على أُسسها الإسلامية والإنسانية والواقعية.

www.ketab.ir

وعلى طريق الوحدة والاتّحاد بين المسلمين، وفي طولهما، تصبح الحاجة ماسّة إلى التقريب بينهم، والتعارف والتفاهم، وتبادل وجهات النظر، وإطلاع أتباع كلّ مذهب على المذهب الآخر من مصادره، وعلى ألسنة علمائه، ومن خلال أقلامهم، وبعيداً عن العقد والحواجز.

ولقد بذل المخلصون من المفكّرين والعلماء على مرّ العصور محاولات كثيرة في هذه السبيل، ونستطيع أن نذكر مثالاً على ذلك في خصوص العصر الحاضر، هو مبادرة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدّس الله نفسه الزكية إلى تأسيس دار التقريب مع مشايخ الأزهر الشريف، ثم فتوى الشيخ محمود شلتوت ﷺ بصحة وجواز التعبّد بالمذهب الشيعي... وكان من روّاد التقريب في مصر ـ القاهرة، العلّامة الإيراني الجليل الشيخ محمد تقي القمي، صديق شيوخ الأزهر الشريف.

ولابدّ من أن نخصّ بالذكر جهود آية الله العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي الذي ألّف كتابه المهم «المراجعات»، وكتابه القيّم «الفصول المهمة في تأليف الأُمة» وقد ذكر فيه الكثير والكثير ممّا يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين.

وعلى الصعيد الفكري، فإنّ المحاولات كثيرة ومتنوّعة، ومنها إقامة العديد من المؤتمرات، وكتابة البحوث الكثيرة، ونشر مجلّتي «رسالة الإسلام» من القاهرة، و«رسالة التقريب» من طهران... وغير ذلك.

وما أروع أن يبادر العلماء المسلمون إلى تشكيل لجانٍ مشتركة لدراسة الموضوعات المتّفق عليها أولاً وتمييزها، ثم دراسة المسائل الخلافية بروح علمية نبيلة، تهدف إلى رضا الله سبحانه، وخدمة الإنسان والإنسانية، والاعتماد على الثقة المتبادلة، والإحساس بالمسؤولية الشرعية والوجدانية!

على أنّنا يجب أن نسعى في معالجة أسباب الاختلاف، ومعرفة أسباب الاختلاف يتمثّل الخطوة الأولى والأساسية في العلاج، والشأن في ذلك هو شأن تشخيص المرض الذي يمثّل الخطوة المهمة في العلاج.

www.ketab.ir

ويمكن إرجاع الأسباب الرئيسية إلى الهوى، والتعصّب المذموم، والتخلّف الأخلاقي في معالجة القضايا، والنشاط المعادي للإسلام الذي يسعى للتخريب بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، من خلال إثارة الفتن، والتركيز على نقاط الضعف والإثارة، وشراء ذوي القلوب المريضة لتسخيرهم لأداء هذه المهمة، والجهل بأوضاع المسلمين ومعتقداتهم، والاعتماد في معرفة ذلك على الإشاعات والتهم، أو الروايات والأقوال الشاذّة في هذا المذهب أو ذاك، والاختلاف في ثبوت النصّ الشرعي المروي عن النبي ﷺ أو الائمة عليهم السلام أو العلماء الذين ينتسبون لهذا المذهب أو ذاك، ذات الطابع الموضوعي والعلمي، وذلك بسبب الفصل الزمني الكبير بين زمن صدور النصّ وأيامنا هذه، حيث وقع في النصوص الاختلاف والتزوير، والخطأ والاشتباه في النقل، والاختلاف في فهم النصّ، ومقارنته بالنصوص الأخرى، حيث إنّ القرآن الكريم الذي ثبت نصّه بالتواتر، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وعام وخاصّ، وأحاطت به القرائن الحالية التي تسمّى بأسباب النزول، والتي تلقي ضوءاً على فهمه وتفسيره، وهكذا الحال أيضاً في النصوص المروية في السنّة النبوية.

ولا شكّ أنّ معالجة هذه الأسباب مختلفة، في طرقها ووسائلها، ولابدّ من دراسة كلّ واحدٍ منها، ووضع الأساليب لهذه المعالجة.

فالتربية الأخلاقية العالية، والتقوى، والتعصّب لله تعالى، والحرص على المصالح الإسلامية، وتشخيص الأعداء والحذر من مؤامراتهم وأعمالهم ونشاطهم، وكذلك البحث عن معتقدات ومتبنّيات المذاهب الإسلامية من مصادرها النقية، والاعتماد في ذلك على أقوال ائمة هذه المذاهب المعروفة من منطلق الأخوّة الإسلامية، وحسن الظن، وروح التفاهم والمحبّة ووضع القواعد والأُصول والضوابط المستنبطة من القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة في إثبات النصّ، واتّباع منهج الحوار العلمي الموضوعي، والمناقشة الهادئة، والدليل المنطقي والشرعي... يمثّل كلّ ذلك أفضل الطرق للعلاج.

www.Yerab.ir

هذا الكتاب

والنموذج الذي بين أيدينا، وهو كتاب «عبدالله بن سبأ بين الواقع والخيال» فقد راعينا فيه المنهج الذي أشرنا إليه سلفاً، ولم نعمد فيه إلى تهشيم العناصر الصحيحة لهذه المفردة التاريخية، كأن نتناول عنصراً سلبياً يضرّ بالحالة الاسلامية والتراث الإسلامي المجمع عليه، بل حرصنا على تناول هذه المفردة التاريخية من خلال عناصرها المختلفة، والانطلاق في بحثها من منطلق المصلحة الإسلامية العليا، وحفظاً للأمانة التاريخية، بغضّ النظر عن الهوية المذهبية الخاصة للسنّة أو الشيعة، وإنّما من خلال خطاب العقل الإسلامي المحسوب على الإسلام، الحامل لهموم الرسالة، ولذا برزت في الكتاب عدّة مزايا تفرده عن غيرها، منها:

الأُولىٰ: طبيعة اختيارنا لأصل الموضوع ثم تعدّد الاستدلالات فيه، فلم ننهج منهجاً أُحادياً، بل تناولنا منهج الدكتور طه حسين والنتيجة التي انتهى اليها حين درس عبدالله بن سبأ في التاريخ، وتناولنا أيضاً دراسة الدكتور علي الوردي ذات المنحى الاجتماعي الذي يثري البحث بنتيجة أخرى، وكذا منهج العلّامة السيد مرتضى العسكري وغيرهم من الدارسين والباحثين، لينتهي الجميع ومن خلال عقد مقارنة علمية إلى نفس النتيجة وإن اختلفت مناهجهم.

والميزة الثانية: ابتعادنا عن لغة التشنّج والانفعال، أو كيل التهم والشتائم، لتكون لغته لغة الحوار والنقاش والدليل العلمي.

والثالثة: إشراك القارئ الكريم من حيث لا يشعر في صورة البحث، لنلقي الحكم والمسؤولية عليه، ولا نقصرها علينا كباحثين واخصّائيين علىٰ هذا الصعيد.

نأمل من ذوي الاختصاص، وأهل العلم والعمل والإصلاح في الأزهر الشريف، وفي كلّ الأوساط العلمية في الأُمة الاسلامية، أن يلتقطوا تلك المفردات باعتبارها عناصر إسلامية تساهم في عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية، انطلاقاً من

www.ketab.ir

المسؤولية الرسالية، ومن أجل مصلحة الإسلام وخدمة أهدافه الإلهية العليا.

وختاماً، ليست هذه الرسالة[١] سوى فاتحة لدراسة كبيرة حول موضوع «ابن سبأ» سوف تنشر قريباً بإذن الله تعالى، إذ أنّ الساحة الفكرية والثقافية لاتزال في حاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات الجادّة التي تسهم في تشكيل عقلية المسلم المعاصر حتّى يؤدّي دوره بفاعلية في خدمة هذا الدين ووحدة الأمة الإسلامية جمعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سيد هادي خسرو شاهي
القاهرة/ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ

www.ketab.ir

١. هذه الدراسة المختصرة كتبتها كإيضاح لأحدى مباحث كتاب «الشيعة والتشيّع» لأستاذنا العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، وقد نقلها إلى العربية الأخ الأستاذ خالد توفيق (جواد علي كسار) ضمن ترجمته لمجموعة آثار العلّامة الطباطبائي، وطبعت في قم ـ إيران، ونحن ننشرها اليوم مزيدة ومنقّحة، وكرسالة مستقلّة لتعمّ الفائدة.